سابق مثال، وأبدع في هذا المبتكر. ومنه صارت المقامات جنساً أدبياً ذا شخصية متميزة.

والمقامة نص أدبي يقوم على حكاية، ويقوم على نظام، فالحكاية معنى سردي، والنظام إيقاع إنشائي. وبين السّرد والإيقاع علاقات من الترابط الذي يشبه التواطؤ. فكأن النص يتواطأ ويتآمر من داخل هذه التركيبة (السردية/الإيقاعية) لكي يوقع القارىء في حبائله ويستحوذ عليه، بواسطة السيطرة أو الاستدراج، حيث تخضع أحاسيس القارىء لسلطة الإيقاع المتلاحق، ولإغراء السرد الذي يكفل تنبه القارىء للنص. وكأنما الإيقاع يحذّر والسرد يوقظ، ويكون المتلقي حينئذ لعبة بيد النص، فيصحو القارىء ويغفو حسب توجيه النص وإرادته.

هذا سحر بياني ابتكره بديع الزمان فأوغر فيه صدر زمانه ولم يجد ذاك العصر من حيلة يواجه بها سحر هذا الساحر إلا بتسريب السمّ إليه، ودفنه حياً[2].

لم يستطع عصر الهمذاني أن يستوعب إبداعيته فسقاه السم، ولمّا لم يقتله السم دفنه زمنه حيّاً ليتولى التراب قتله وتخليص العصر منه.

مات بديع الزمان مطموراً تحت التراب وانطمر معه ما يقارب ثلاثمائة وخمسين مقامة وبقي لنا إحدى وخمسون لا أكثر، وبين يدينا الآن آخر المتبقيات ودرّتهن.

ولقد يحسن بنا أن نتساءل عن السبب الذي جعل المقامة تجمع

(2) ورد ذلك في كل تراجم حياته، انظر عمر فرّوخ: **تاريخ الأدب العربي** 596/2 ـ دار العلم للملايين ـ بيروت 1975 م.